الفصل الخامس

تعريف موجز بالأصوات الصامتة
(تتمة)
الأصوات الاحتكاكية

تتكون الأصوات الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين فى موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء فى خروجه احتكاكاً مسموعاً . والنقاط التى يضيق عندها مجرى الهواء كثيرة متعددة ، تخرج منها الأصوات الاحتكاكية الآتية :

الفاء والثاء والذال والظاء والسين والزاى والصاد والشين والخاء والغين والحاء والعين والهاء .

وإليك وصفاً مختصراً لكل صوت منها :

الفاء :

يتم نطق هذا الصوت بوضع أطراف الثنايا العليا على الشفة السفلى ولكن بصورة تسمح للهواء أن ينفذ من خلالها ومن خلال الثنايا مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف . ولا تتذبذب الأوتار الصوتية خلال النطق بالفاء .

فالفاء إذن صوت أسنانى شفوى احتكاكى مهموس .

وليس للفاء نظير مجهور فى اللغة العربية . ومن ثم يخطئ كثير من العرب فى نطق صوت [v] فى لغة كالإنجليزية مثلا فى نحو victory . فينطقونه مهموساً (لا مجهوراً) متأثرين بعادتهم النطقية للفاء العربية المهموسة .

الثاء :

يوضع طرف اللسان حال النطق بهذا الصوت بين أطراف الثنايا العليا والسفلى بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيق . فيحدث الاحتكاك . مع عدم السماح للهواء

بالمرور من الأنف ومع عدم تذبذب الأوتار الصوتية .

فالثاء إذن صوت « مما بين الأسنان احتكاكى مهموس » .

وقد تطور صوت الثاء فى اللغة العامية إلى تاء كما فى نحو تعلب ، وإلى سين كما فى نحو « ثورة » بالنطق العامى . وأكثر المثقفين ينطقونه سيناً دائماً وهو خطأ ظاهر ، يجب التخلص منه ، وإنه لمن العيب أن تسمع هذا الخطأ من بعض معلمى اللغة العربية بمدارسنا .

الذال :

هو النظير المجهور للثاء ، فلا فرق بينهما إلا أن الأوتار الصوتية تتذبذب فى حال النطق بالذال .

فالذال إذن صوت مما بين الأسنان احتكاكى مجهور .

وقد تطور هذا الصوت فى اللغة العامية إلى دال كما فى نحو « دهب » وإلى زاى ، كما فى « ذلك » بالنطق العامى ، ويخطئ المثقفون وبعض المعلمين فى نطقه كما هو الحال فى نطقهم لصوت الثاء .

الظاء :

يتكون هذا الصوت بالطريقة التى يتكون بها صوت الذال ، إلا أن اللسان مع الظاء يرتفع مؤخره تجاه أقصى الحنك كما يرجع إلى الخلف قليلا فيحدث الإطباق (التفخيم) كما هو الحال فى نطق الضاد والطاء والصاد كذلك .

فالظاء إذن صوت مما بين الأسنان احتكاكى مجهور مفخم (مطبق) .

ويُنطق هذا الصوت خطأ كما لو كان زايا مفخمة ، وهذا هو النطق المعتاد فى اللهجات العامية بمصر ، ولكنا نلاحظ أن كثيراً من العرب فى لهجاتهم العامية ينطقون هذا الصوت بصورة صحيحة ، وهذا ملحوظ فى نطق العراقيين والكويتيين بوجه خاص .

السين :

ينطق هذا الصوت بأن يعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا[1] مع التقاء مقدمه

---

(١) يرى بعض الدارسين أن هذا الاعتماد يكون خلف الأسنان السفلى ، ويعدون هذا الصوت أسنانيا — لثويا ، ومثله فى ذلك الزاى والصاد عندهم .

باللثة العليا . مع وجود منفذ ضيق للهواء فيحدث الاحتكاك . ويرفع أقصى الحنك حتى يمنع مرور الهواء من الأنف . ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به .

فالسين صوت لثوى احتاكى مهموس .

الزاى :

هو النظير المجهور للسين . فهو صوت لثوى احتكاكى مجهور .

الصاد :

يتكون هذا الصوت بالطريقة التى تتكون بها السين . مع فارق الإطباق (التفخيم) الناتج عن ارتفاع مؤخر اللسان تجاه الحنك الأعلى ورجوعه قليلا إلى الخلف .

فالصاد صوت لثوى احتكاكى مهموس مفخم (مطبق) .

ونلاحظ أن علماء العربية (وابن جنى بالذات) وضعوا السين والزاى والصاد فى مرتبة تلى مخرج الدال والتاء والطاء من ناحية الأمام . وجاء وصفه لهذه الأصوات بما يوهم أن الصاد والزاى والسين أصوات سنية تحدث عن طريق وضع طرف اللسان خلف الأسنان أو بينها ، على حين يذكر أن الطاء والتاء والدال أصوات أسنانية لثوية . وهذا التقرير يختلف عما نشعر به الآن ، كما يختلف عما يمارسه قراء القرآن الكريم فى الجمهورية . فنطقنا للسين والزاى والصاد يجعلها قبل — لا بعد — التاء والدال والطاء من جهة الخلف .

الشين :

يتكون هذا الصوت بأن يلتقى طرف اللسان أى مقدمه بمؤخر اللثة ومقدم الحنك الأعلى، بحيث يكون هناك منفذ ضيق لمرور الهواء ، ولكن هذا المنفذ أوسع من المنفذ الموجود فى حال صوت كالسين مثلا ، وفى هذه الحالة يكون كل الجزء الأساسى من جسم اللسان مرفوعًا نحو الحنك الأعلى . ولا تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به .

فالشين صوت لثوى حنكى احتكاكى مهموس . والنظير المجهور للشين هو الجيم السورية .

والشين أحد أصوات ثلاثة عدها علماء العربية أصوات وسط الحنك وهذه الأصوات

هى : الشين والجيم والياء (نصف الحركة) . وهو تقدير جيد سليم وبعضهم يسمى هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الشجْرية .

الخاء :

يرتفع أقصى اللسان حال النطق بهذا الصوت : بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك وبحيث يكون هناك فراغ ضيق ليسمح للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك . ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به .

فالخاء صوت من أقصى الحنك احتكاكى مهموس .

الغين :

هو النظير المجهور للخاء ، فهو صوت من أقصى الحنك احتكاكى مجهور .

الحاء :

يضيق المجرى الهوائى فى الفراغ الحلقى عند النطق بالحاء ، بحيث يحدث مرور الهواء احتكاكًا ، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به .

فالحاء صوت حلقى احتكاكى مهموس .

الحاء من الأصوات العربية ذات الصعوبة على غير العرب ، وكثير منهم ينطقونها كما لو كانت خاء ، أو هاء .

العين :

هو النظير المجهور للحاء . فالفرق إذن هو تذبذب الأوتار الصوتية مع العين وعدم ذبذبتها مع الحاء .

فالعين إذن صوت حلقى احتكاكى مجهور .

والعين فى اللغة العربية تمثل مشكلة حقيقية لغير العرب . ومن النادر أن يستطيع واحد منهم نطقها بصورة صحيحة . والحق أن تكوين العين فيه غموض لم يتضح لنا بعد ، وهى أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكًا .

ولعل هذا هو ما دعا علماء العربية إلى عدم ذكرها مع الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) وعدها واحداً من تلك الأصوات التي سموها الأصوات المتوسطة (انظر ص ١٣١) .

الهاء :

تتكون الهاء العربية « عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة (كالفتحة مثلا) ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الصوتين بالحنجرة محدثًا صوتًا احتكاكياً. يرفع الحنك اللين ، فلا يمر الهواء من الأنف ولا تتذبذب الأوتار الصوتية [1] .

فالهاء إذن صوت حنجرى احتكاكى مهموس » .

• • •

هذه هى الأصوات الاحتكاكية بحسب نطقنا للفصحى المعاصرة . وقد تكلم علماء العربية القدامى عن مجموعة من الأصوات سموها الأصوات الرخوة وهى تقابل الاحتكاكية عندنا . وهذه الأصوات الرخوة عندهم هى :

الفاء والثاء والذال والظاء والسين والزاى والصاد والضاد والشين والخاء والغين والحاء والهاء .

ونلاحظ هنا نقطتين سبقت الإشارة إليهما فى مواضعهما .

الأولى : أنهم عدوا الضاد رخوة (احتكاكية) على حين أنا عددناها انفجارية ، وسلوكهم هذا يومئ إلى أن ضادهم كانت تختلف عن ضادنا الحالية .

الثانية : أنهم لم يعدوا العين رخوة ، بعكس ما فعلنا نحن ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

ولقد رأى العرب رأيًا يخالف ما ذكرناه بالنسبة لمخارج الغين والخاء والعين والحاء والهاء (وكلها احتكاكية) والهمزة (وهى انفجارية) .

فهذه الأصوات الستة كلها تخرج من الحلق فى نظرهم ، وهى المعروفة عندهم بالمصطلح المشهور « الأصوات الحلقية » . ويوضح هذا ما جاء على لسان بعضهم محدداً الأصوات الحلقية عندهم حين يقول :

---

(١) علم اللغة للدكتور محمود السعران ، ص ١٩٥ .

همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء

أما البحث الحديث — كما رأيت — فيؤكد أن هذه الأصوات الستة تتوزع على ثلاثة مواضع مختلفة من جهات النطق ، وإن كانت هذه المواضع يجاور بعضها البعض الآخر .

فالهمزة والهاء من الحنجرة ، والحنجرة جزء من جهاز النطق سابق للحلق .

والعين والحاء من الحلق وهو فى موضع تال للحنجرة .

والغين والخاء من أقصى الحنك وهو يقع فى منطقة تالية للحلق من جهة الأمام :

ومعنى هذا أن الأصوات الحلقية صوتان اثنان فقط ، هما العين والحاء .

ويمكن تفسير ما ذهب إليه العرب بواحد من وجهين :

الأول : ربما أخطأ هؤلاء القوم فى الملاحظة ، فلم يستطيعوا التفريق بين مخارج هذه الأصوات .

الثانى : لعلهم أطلقوا الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التى نسميها نحن اليوم بالحلق والمحصورة بين الحنجرة وأقصى الحنك . أو بعبارة أخرى ، ربما أطلقوا المصطلح « الحلق » على تلك المنطقة الكبيرة التى تشمل :

١ — الحنجرة .

٢ — الحلق .

٣ — وأقصى الحنك ، على ضرب من التوسع والمجاز ، وربما سوغ لهم هذا الصنيع ما رأوه من اشتراك هذه الأصوات الستة فى بعض السمات الصوتية الصرفية . من هذه السمات وأشهرها أن هذه الأصوات تفضل حركة الفتح على الكسر والضم فى بعض السياقات الصوتية ، كما أنها تحرك بالفتح بدلا من السكون إذا وقعت عينًا فى صيغ صرفية معينة ، فيقال نهر وبحر بفتح الهاء والحاء بدلا من نهر وبحر بسكونهما .

ويؤيد هذا الاحتمال كذلك أنهم عادوا فقسموا « الحلق » إلى ثلاث مناطق جزئية ، وإن كانت كلها لم تزل فى حدود تلك المنطقة التى سموها الحلق .

هذه المناطق الجزئية هى :

١ — أسفل الحلق وأقصاه ومنه الهمزة والهاء .

٢ ــ أوسطه ومنه العين والحاء .

٣ ــ أدنى الحلق ومنه الغين والخاء .

فكأن أسفل الحلق (وأقصاه) يناظر الحنجرة في تقسيمنا ، وأوسط الحلق يناظر الحلق بالمعنى الدقيق ، وأدنى الحلق يقابل أقصى الحنك . وإذا ما قبل هذا الافتراض صح لهم ما صنعوا وكانوا على صواب فيما فسروا .

ولكن هذا التفسير (وهو إطلاق الحلق على ما يشمل الحنجرة والحلق وأقصى الحنك) كان يوجب على هؤلاء القوم أن يعدوا القاف من أصوات الحلق أيضًا . ذلك لأن القاف ــ كما ننطقها اليوم ــ تخرج من اللهاة . واللهاة كما هو معروف ــ تقع فى نهاية الحنك الأقصى ، أى أن القاف أسبق مخرجًا من الغين والخاء ، وهى حينئذ واقعة فى دائرة تلك المنطقة الواسعة التى أطلقوا عليها الحلق . فإذا ما عددنا الغين والخاء حلقيتين ، كان علينا أن نعد القاف حلقية من باب أولى .

على أنه يمكن الرد على هذا الاعتراض بماسبق أن ألمعنا إليه ، وهو : ربما كانت القاف فى نطقهم تختلف عن نطقنا . فلعلهم كانوا ينطقونها جافًا أى صوتًا قصياً مجهوراً . وهذا الصوت موقعه موقع الغين والخاء أو من موقع تال لهما . وهذا التفسير الأخير مفهوم من كلامهم ، وتؤيده غالبية النصوص الواردة فى وصف القاف . وبهذا الافتراض يكون كلامهم سليمًا صحيحًا ، وإن اختلفت مصطلحاتهم مع المصطلحات المستعملة الآن .

وبالرغم من صحة هذه التخريجات التى أوردنا فإننا نشير على المتعلمين أن يتبعوا التقسيم الحديث بالنسبة لهذه الأصوات الستة ، إذ نسبتها جميعًا إلى منطقة الحلق قد يوقع البعض فى الوهم فيظن أنها تخرج جميعًا من نقطة واحدة ، على حين أن الأمر ليس كذلك بحال من الأحوال كما سبق بيانه فى موضعه .

مجموعة أخرى من الأصوات الصامتة

١ ـ الأصوات المركبة

هذه الأصوات المركبة تسمى الأصوات الانفجارية ـ الاحتكاكية . من المعروف أن كل صوت انفجارى قد يكون لهمقابل احتكاكى ، أى صوت يتكون فى نفس الموضع الذى يتكون فيه الانفجارى . ولكن مع اختلاف فى طريقة النطق كالكاف والخاء مثلا . فالكاف انفجارى لأنه لا يسمح بمرور الهواء ألبتة عند التقاء أقصى اللسان بأقصى الحنك ثم ينفصل العضوان انفصالا فجائياً فيسمع الصوت الانفجارى .

أما فى الخاء فيقترب أقصى اللسان من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ضيق يسمح بمرور الهواء بحيث يحدث صوتًا احتكاكياً .

« وانفصال الأعضاء فى نطق » الأصوات الصامتة الانفجارية يتفاوت فى السرعة والبطء . « فإذا كان انفصالها بطيئًا بحيث لا يحدث انفجار واضح ـ بل يسمع عند إطلاق الوقف صامت احتكاكى ـ سمى الصوت الذى يتكون بهذه الكيفية انفجارياً احتكاكياً . والصامت الانفجارى الاحتكاكى نوع من الانفجارى يحدث فى تكوينه أن يتبع إطلاق الانفجارى مباشرة بالاحتكاكى المقابل له ، أى بالاحتكاكى الذى يتكون فيه الانفجارى . وهذا الصوت الاحتكاكى الذى يعد جزءاً جوهريًّا من الانفجارى . وهذا الصوت الاحتكاكى الذى يعد جزءاً جوهريًّا من الانفجارى الاحتكاكى يسمع لأن الأعضاء المشتركة فى نطق الانفجارى تنفصل ببطء »[1] .

وعندنا فى العربية صوت واحد يتكون بهذه الطريقة : هو الجيم الفصيحة كما نعرفها نحن اليوم . ويتم نطق هذا الصوت بأن يرتفع مقدم اللسان تجاه مؤخر اللثة ومقدم الحنك ، حتى يتصل بهما محتجزاً وراءه الهواء الخارج من الرئتين ، ثم بدلا من أن ينفصل عنهما فجأة ـ كما فى نطق الأصوات الانفجارية ـ يتم الانفصال ببطء فيعطى الفرصة للهواء بعد الانفجار أن يحتك بالأعضاء المتباعدة احتكاكًا شبيهًا بما يسمع من صوت الجيم الشامية[2] .

---

(١) الدكتور محمود السعران ، علم اللغة ص ١٨٢ .

(٢) انظر مناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

فهذا الصوت إذن مركب . الجزء الأول منه صوت قريب من الدال والثانى صوت معطش كالجيم الشامية . أو الجزء الأول منه صوت قريب بجيم القاهرة والثانى يشبه الجيم الشامية . وهذان الافتراضان مبنيان على أساس الاختلاف فى موضع نطق هذا الصوت عند المتكلمين . والاحتمال الأول يفسر نطق هذا الصوت المركب بالدال كما يفعل أهل الصعيد فى نحو « ديش » بدلا من « جيش » . والاحتمال الثانى يفسر نطق القاهريين له بالجيم الانفجارية الخالصة .

فالجيم الفصيحة المعاصرة كما ينطقها القراء اليوم صوت لثوى حنكى مركب (= انفجارى احتكاكى) مجهور .

ولعلماء العربية القدامى رأى يختلف عما قررناه هنا بالنسبة لصوت الجيم من حيث حالة ممر هوائه . إنه عندهم واحد من أصوات « أجدت طبقك » كما ألمعنا إلى ذلك سابقًا . هذا أن الجيم فى تقديرهم صوت شديد أى انفجارى صرف . على حين عددناه نحن صوتًا مركبًا . أى انفجاريًا احتكاكيًا . فهو صوت ينحبس الهواء عند النطق به ثم يعقبه انفجار بطىء يتلوه مباشرة احتكاك مسموع .

وهناك تفسيران لما ذهب إليه هؤلاء العلماء :

الأول : قد يكون حكمهم بأن الجيم صوت شديد أى انفجارى راجعًا إلى تأثرهم بالجزء الأول من نطق هذا الصوت . وهذا الجزء يتمثل فى انحباس الهواء عند بداية النطق به ، وهو فى ذلك يتفق مع الأصوات الانفجارية عندما تلتقى الأعضاء الناطقة التقاء تامًا بحيث ينحبس الهواء ومعناه حينئذ أنهم أهملوا الجزء الثانى وهو الانتقال من الانحباس إلى الانفجار البطئ الذى يحدث الاحتكاك . (والمعروف طبعًا أن الانفجار فى الأصوات الانفجارية الصرفة يكون فجأة وبسرعة) .

الثانى : وهو التفسير الراجح فى نظرنا . ربما كانت الجيم تنطق فى القديم بما يشبه الجيم القاهرية [g] فى اللغة العامية ، وهذه الجيم الأخيرة شديدة أى انفجارية ولا شك . وهذا الاحتمال له ما يؤيده فى القديم والحديث .

يروى أن بعض القبائل كانت تنطق الجيم [dj] جيما [g] كما فى نطق عامية القاهرة ، بل إن الأستاذ أنوليبان يذهب إلى أبعد من هذا فيقرر أن gim [dj] هى الأصل .

يقول ليبان فى هذا الشأن : نحن « تعرف أن نطق هذا الحرف الأصلى كان [gim] هو الآن فى مصر ، وكما كان ويكون فى اللغات السامية الباقية . مثلا كلمة « جمل » . فى العبرية

gāmāl وفى السريانية Gamlā مع الألف التى هى أداة التعريف . وفى الحبشية gamal ويوجد فعل gamālu أى رحم فى الأكدية . وتاريخ هذا النطق كما يأتى :

فى الابتداء تغير نطق gim فصار ǧim قبل حركة الكسرة فقط . . . . . ثم لفظت الـ gim عند أهل الحجاز ǧim إذا وقعت قبل كل الحركات أى الفتحة والضمة والكسرة . وكان هذا النطق نطق القرشيين فى زمان النبى فصار نطق القرآن الشريف »[١]

وهذا واضح فى أن الجيم الأصلية فى اللغة العربية هى الجيم القاهرية ثم تطورت إلى [ژ] فى نطق القرشيين . وهذا يفسر لنا سر وجودها حتى هذه اللحظة فى قراءة القرآن الكريم .

وهناك فى الآثار اللغوية ما يشير إلى هذا الاحتمال كذلك . فكثيراً ما تلكموا عن صوت بين « القاف والكاف والجيم » ونصوا على أنها « لغة سائرة فى اليمن مثل جمل ، إذا اضطروا قالوا كمل »[٢] . وإلى هذا يشير أيضاً الباحث السابق (ليمان) فيقول : « قد روى عند النحويين (كمل) فى (جمل) و (ركل) فى (رجل) و (ركب) فى (رجب) و(كبهة) فى (جبهة) وعلى الأرجح فى هذه الكلمات يوجد النطق الأصلى ، يعنى الجيم المصرية والسامية العامة . ولكن النحويين كتبوا كافاً لعدم الإشارة للنطق الصحيح »[٣]

فمن المؤكد أن هذا الصوت الذى سموه بين القاف والكاف والجيم ما هو إلا جيم القاهرة . فهو يشبه القاف (وهى مجهورة فى نظرهم G) فى الجهر . والكاف فى منطقة النطق ، إذ الكاف وجيم القاهرة من منطقة واحدة . أما أن هذا الصوت يشبه الجيم . فلأنه ليس جيماً [ژ] فى النطق ولكنه لم يزل الجيم صاحبة المشكلة الأصلية . وصاحبة الرمز المعروف [ج] .

أما كتابة هذه الجيم المتطورة [ژ] أو جيم القاهرة كافاً ، فسببه ما يلى :

١ ـ خافوا أن يكتبوها بالرمز الأصلى (ج) فتنطق جيماً فصيحة قرشية [ژ] فيفوت الغرض . فكتبوها برمز أقرب الأصوات إليها هو الكاف لاتفاقهما فى المنطقة والشدة (الانفجار) .

٢ ـ من المحتمل أنهم كتبوها بالجاف الفارسية (گ) ، ثم ضاعت الشرطة من الرمز بفعل النساخ .

---

(١) الدكتور أنوليمان ، مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة) المجلد العاشر ، الجزء الأول سنة ١٩٤٨ ص ١ ـ ٢ .

(٢) الصاحبى لابن فارس ص ٢٥ .

(٣) أنوليمان : السابق ص ٣٠ .

على أن كتابة جيم القاهرة بالكاف معقول ومقبول . وقد كان هذا هو الاستعمال السائد فى كتابة اللغة التركية عندما كانت تكتب بالرموز العربية قبل تحويلها إلى حروف لاتينية فى عهد كمال أتاتورك سنة ١٩٢٧ م . فى اللغة التركية نوعان من الجيم أحدهما ينطق كما تنطق جيم القاهرة وهذه كانوا يكتبونها بالكاف ، أما الجيم الأخرى فكانت تكتب بالرمز التقليدى [ج] .

وبهذه الطريقة يمكن تفسير القراءة المروية « حتى يلك الكمل فى سم الخياط » بدلا من « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » .

ونلاحظ فى اللهجات العربية الحديثة أن هذا الصوت (جيم القاهرة) ينطق بهذه الصورة فى جنوب اليمن الشمالى ، وكذا فى الجزء الشمالى من جمهورية جنوب اليمن الشعبية . ومعنى ذلك أن هذا النطق معروف بين القبائل المذحجية والحميرية[1]

والجيم كذلك تعرضت لتطور آخر ظهر فى نطق الشاميين . وهى جيم لثوية - حنكية احتكاكية . فهى النظير المجهور للشين .

ومعنى كل ما تقدم أن للجيم فى العربية ولهجاتها ثلاث صور :

١ - صوت لثوى - حنكى مركب (انفجارى احتكاكى) مجهور ، [ʤ] ويقال - كما رأيت - إن هذا الصوت هو نطق القرشيين وهو المتبع حتى الآن فى قراءة القرآن الكريم .

٢ - صوت قصىّ انفجارى مجهور (g) . وهو السائد الآن فى بعض جهات اليمن شماله وجنوبه وفى حواضر جمهورية مصر العربية . ويقال إنه الأصل فى النطق .

٣ - صوت لثوى - حنكى احتكاكى مجهور ، وهو نطق الشاميين .

وبالرغم من أن وصف علماء العربية للجيم ينطبق أكثر ما ينطبق على الجيم القصية الانفجارية (جيم القاهرة) نلاحظ أنهم نسبوها إلى منطقة أخرى ، هى تلك

---

(١) من الجدير بالذكر أن هؤلاء الناس ينطقون القاف ، كما ينطقها قراء القرآن الكريم ، إذ لو نطقوها بالصورة التى وصفها علماء العربية (جافا) لاختلطت بجيمهم (وهى جيم قاهرية) . وللتخلص من هذا الخلط نطق المصريون فى الحواضر القاف همزة ، منعاً للبس .

المنطقة التى تخرج منها الشين والياء . وهى « وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى » . وهذه المنطقة هى فى الحقيقة منطقة الجيم القرشية [ج] لا الجيم القاهرية . ويكون معنى هذا أن هؤلاء العلماء اختلط عليهم الأمر فنسبوا خواص الصوتين (الجيم القاهرية والجيم القرشية) إلى صوت واحد هو ما تكلموا عنه ووصفوه بهذه الطريقة غير الدقيقة . على أنه إذا كان المقصود هو الجيم القرشية حقيقة فيكون نسبتهم لها إلى هذه المنطقة سليماً ومقبولاً ، إذ الجيم القرشية والشين لثويتان ــ حنكيتان ، أو هما من وسط الحنك ، فعلا كما يرى بعض الدارسين ومن ثم ضموا الياء إليهما ، وهى من وسط الحنك بدون شك .

٢ ــ الأصوات المكررة

ويمثلها فى العربية صوت الراء . ويتكون هذا الصوت بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكراراً سريعاً . وهذا هو السر فى تسمية الراء بالصوت المكرر يكون اللسان مسترخياً فى طريق الهواء الخارج من الرئتين . وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به .

فالراء صوت لثوى مكرر مجهور .

ولاحظ قدامى العرب خاصة التكرار فى الراء فسموه الصوت المكرر . وفسروا ذلك بقولهم : « وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير »[1] .

٣ ــ الأصوات الجانبية

ويمثلها فى العربية صوت اللام . وهو يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة ، بحيث توجد عقبة فى وسط الفم تمنع مرور الهواء منه ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبى الفم أو من أحدهما . وهذا هو معنى الجانبية . وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به . فاللام صوت أسنانى ــ لثوى جانبى مجهور .

وقد أصاب العرب فى تسميته بالصوت « المنحرف » ، وقالوا فى تفسير ذلك : « لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت .

(١) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ، ج ١ ، ص ٧٢ .

فيخرج الصوت من تينك الناحيتين وما فويقهما »[١].

٤ ـ الأصوات الأنفية

تتكون الأصوات الأنفية : « بأن يحبس الهواء حبسًا تامًا فى موضع من الفم ولكن يخفض الحنك اللين الهواء من النفاذ عن طريق الأنف »[٢]. ومن الأصوات الأنفية الميم والنون فى اللغة العربية .

الميم :

تنطبق الشفتان انطباقاً تامًا عند النطق به . فيحبس الهواء حبساً تامًا فى الفم . ولكن يخفض الحنك اللين (الحنك الأقصى) . فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من ضغط . ويتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالميم .

فالميم إذن صوت شفوى أنفى مجهور .

النون :

يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة ويخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف ، ويتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به .

فالنون صوت أسنانى لثوى أنفى مجهور .

---

(١) ابن جنى : السابق ص ٧٢ .

(٢) دكتور محمود السعران : علم اللغة ، ص ١٨٤ .

ملحوظة :

الأصوات السابقة وهى الراء واللام والنون تشبه الحركات فى أهم خاصة من خواصها وهى قوة الوضوح السمعى « sonority. ويمكن تفسير هذا الشبه بما يجرى حال النطق بهذه الأصوات . نلاحظ أن هواء اللام والميم والنون يخرج حراً طليقاً كالحركات تماماً ولكنه مع الحركات يخرج من وسط الفم ومع اللام من جانبى الفم ومع الميم والنون من الأنف . فالشبه إذن ينحصر فى حرية مرور الهواء . ولكن هذه الأصوات لم تعد حركات ، لأن هواءها الحر لم يخرج من وسط الفم . ولهذا سميت « أشباه حركات » ، ولكنها ليست بحركات ، على أن هناك تعريفات للحركات أوردها بعض العلماء يمكن أن تطبق على هذه الأصوات تطبيقاً كاملا .

أما الراء فهو شبيه بالحركات ، لما يوجد عند النطق به من نوع من حرية للهواء بسبب الاتصال والانفصال المتكررين . وهذا السلوك يعطى هذا الصوت نوعاً من الوضوح السمعى أقوى مما يحدث مع بقية الأصوات الصامتة . ومما يقرب هذه الأصوات الأربعة من الحركات كذلك كونها جميعاً مجهورة .

ولقد أطلق علماء العربية القدامى على هذه الأصوات الأربعة ، مضموماً إليها العين « الأصوات المتوسطة » ، وجمعوها فى قولهم « لم نرع » . وهى فى رأيهم متوسطة بين الشدة والرخاوة (= بين الانفجار والاحتكاك) . وهذا فى نظرنا تقدير غير دقيق ؛ إلا إذا قصد بها أنها ليست انفجارية ، ولا احتكاكية ، وإنما هى من نوع مستقل .

وكان الأولى بهؤلاء القوم أن يحكموا عليها بأنها متوسطة بين الأصوات الصامتة والحركات (لا بين الانفجارية والاحتكاكية) . فهى كما رأيت تتسم بخواص الأصوات الصامتة . ولكنها فى الوقت نفسه تبدى شبهاً معيناً بالحركات ، ومن ثم أطلقنا عليها نحن « أشباه الحركات » .

ومن يدرى ؟ لعل علماء العربية قصدوا هذا الذى نقول . وربما يؤيد هذا الاحتمال أن بعضهم ضم إلى هذه الأصوات الأربعة أصواتاً أخرى قريبة الشبه جداً من الحركات أو هى حركات بالفعل . لقد ضموا إليها الياء والواو والألف وجمعوها كلها فى قولهم « لم يَرْوِعَنَّا » أو لم يُرَوِّعْنَا » .

فإذا فسرت الياء والواو على أنهما الواو والياء فى نحو ولد ويترك . فيكون كلامهم مقبولا ذلك لأن الواو والياء هنا كما أشرنا قبلا . وكما سنشير فيما بعد — لها شبه كبير بالحركات . ولكنها تؤدى وظائف الأصوات الصامتة . ومن ثم سميت « أنصاف حركات semi-vowels .

أما إذا قصد بهما الواو والياء فى نحو أدعو وأرمى فيكون تقديرهم غير دقيق ، إذ الواو والياء فى هذين المثالين ونحوهما حركات صرفة . ومن الخطأ ضمهما مع بقية هذه الأصوات (اللام والميم والنون والراء) . لأن هذه الأصوات الأخيرة بالرغم من شبهها بالحركات لم تزل أصواتًا صامتة . ويبدو أن الاحتمال الأول هو المقصود لأن الواو والياء فى عبارة (لم يروعنا) ليستا حركتين ، بل هما كالواو والياء فى ولد . يترك ، لأدائهما وظيفتهما .

أما ذكر الألف هنا فهو خطأ على أى احتمال أردت . ذلك لأن الألف هنا ليست إلا حركة ، فلا يجوز ضمها إلى هذه الأصوات .

أما العين ففيها شبهة كبيرة . ذلك لأن العين كما قدمنا — وإن كانت احتكاكية — لم تزل أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكًا . وقلة الاحتكاك مسوغ ظاهر لضمها إلى هذه الأصوات المتوسطة (= أشباه الحركات) . والعين كما ذكرنا سابقًا تمثل مشكلة حقيقية فى التعرف على خواصها ، تلك الخواص التى لم يزل بعضها غير واضح لنا وضوحًا تاماً .

ومهما يكن من أمر ، فالواجب تفسير المصطلح « أصوات متوسطة » بأن المقصود أنها أصوات متوسطة بين الصامتة بعامة والحركات ، لا بين الأصوات الشديدة والاحتكاكية . ويبدو أن من سماها كذلك من العرب قد خانه التوفيق فى التعبير .

٥ — أنصاف الحركات

يطلق هذا المصطلح على تلك الأصوات التى تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركة من الحركات ، ولكنها تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى . ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية أو الانزلاقية ، ولقصرها وقلة وضوحها فى السمع إذا قيست بالحركات الصرفة ، اعتبرت هذه الأصوات أصواتًا صامتة . لا حركات ، بالرغم مما فيها من شبه واضح بالحركات . وعندنا فى العربية من هذا النوع صوتان هما الواو والياء فى ولد ، يترك ، حوض بيت .

والحقيقة أن هذه الأصوات من حيث النطق الصرف تقترب من الحركات فى صفاتها ، ولكنها فى التركيب الصوتى للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة ، ومن هنا كانت تسميتها بأنصاف حركات ويجوز تسميتها بأنصاف صوامت . ولكن المصطلح الأول هو المشهور .

وهذه الأصوات أقرب إلى الحركات من تلك الأصوات التى سميناها سابقًا بأشباه الحركات .

الواو :

تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمة ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى ، وتضم الشفتان ويسد الطريق إلى الأنف برفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان .

فالواو إذن صوت صامت (أو نصف حركة) من أقصى اللسان مجهور نحو الواو فى ولد ، ويمكن وصفه بأنه شفوى كذلك ، حيث إن الشفتين تنضمان عند النطق به .

الياء :

تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق نوع من الكسرة ، تاركة هذا الوضع إلى حركة أخرى بسرعة ملحوظة . ويتجه أوسط اللسان نحو وسط الحنك ، وتنفرج الشفتان ويسد الطريق إلى الأنف ، وتتذبذب الأوتار الصوتية .

فالياء صوت صامت (أو نصف حركة) حنكى وسيط مجهور نحو الياء فى يترك . والياء عند علماء العربية من وسط الحنك وهو وصف دقيق ، وقد ضموها إلى الجيم والشين وسموها الأصوات الشجرية .

والملاحظ أن بعض الدارسين يطلقون المصطلح « أشباه حركات » على الواو والياء بوصفهما نصفى حركة . والأولى ما أثبتناه هنا ، وبخاصة أن التسمية « أنصاف حركات » تسمية قديمة مستقرة ، ولا داعى إلى العدول عنها من غير أن تكون هناك حاجة ملحة تدعو إلى ذلك .

وقد استطاع علماء العربية أن يدركوا — بصورة ما — أن لكل من الواو والياء حالتين ،

أى حالة كونهما حركات طويلة وحالة كونهما أصواتًا صامتة أو ما تسمى semi-vowels أى أنصاف حركات .

أما الحالة الأولى فأمرها ظاهر وقد تبين لنا ذلك من بعض النصوص السابقة ، ومن ذلك مثلا النص الذى أوردناه للدلالة على نجاحهم فى التفريق بين نوعى الأصوات الصامتة والحركات ، ونعنى بذلك قول ابن جنى : « فإن اتسع مخرج الحرف »[1] إلخ .

أما الحالة الثانية فيمكن الوقوف عليها من نص لابن جنى جاء فى معرض الكلام على عدم قلب الياء واواً فى نحو غُيُر وعدم قلب الواو ياء فى نحو العوض . على حين جاء هذا القلب فى موسر (أصلها مُيْسر) وميزان (أصلها موزان) . يقول :

« فإن قلت : فما بالك تقول الغُيُر والعُيبة والطّوَل والعِوَض فتأتى بالياء بعد الضمة وبالواو بعد الكسرة ؟

فالجواب أنه إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح ، فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما . وكذلك قولهم اجلوّاذا واخروط اخروّاطا فتصح الواو الأولى فى اجلواذ واخرواط من قِبَل أنها لما أدغمت فى التى بعدها قويت وضارعت الحروف الصحاح فجاز إثباتها مع انكسار ما قبلها . وكذلك قالوا : قرن ألْوى وقرون لُيٍّ فصححوا الياء الأولى وإن كانت ساكنة مضمومًا ما قبلها من قبل أنها قويت بالإدغام فحصنها من القلب (سر الصناعة جـ١ ص٢٢—٢٣)

فعده الواو والياء فى هذه السياقات ونحوها من الأصوات الصامتة consonants أو حكمه عليهما بأنهما يضارعان أو يشبهان هذه الأصوات يتفق فى أساسه مع ما وصل إليه الرأى فى الحديث .

فالمعروف أن للواو والياء حالتين فى العربية . فهما إما حركتان خالصتان ، وإما صوتان صامتان أو بعبارة أدق . نصفا حركتين . وقد حاول كثير من العلماء التفريق بين هاتين الحالتين على أساس صوتى محض . فهما من النوع الأول إذا خرجتا من الفم دون أن يقف فى طريق الهواء حال النطق بهما أى عائق أو مانع . ولكنهما من النوع الثانى إذا ضاق مجرى الهواء بحيث يبقى مسار ضيق يسمح بمروره ولكن مع شىء من الصعوبة ، بحيث يحدث هذا الهواء احتكاكًا مسموعًا .

---

(١) انظر ص ٨٠ من هذا الكتاب .

وقد رأينا نحن أن هذا التفريق تفريق غير واضح بل يتضمن شيئًا من التكلف والصنعة . ولذا آثرنا أن يكون التفريق بين الحالتين على أساس الوظيفة اللغوية . فقررنا أنهما من الصوامت أو أنصاف حركات فيما لو وقعا فى مواقع الأصوات الصامتة ، ولخصنا هذه المواقع فى خاصة تشترك فيها جميعًا . تلك هى وقوعها متلوة بحركة أو ساكنة بعد فتح ، كما فى نحو بيت ويوم . وهما فى هاتين الحالتين يقعان فى مواقع الأصوات الصرفة ، ومن ثم أخذنا حكمها ، وهو ما أدركه ابن جنى وأشار إليه بقوله : « لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح » . غير أنا مازلنا ندرك أن هذين الصوتين فى هذه الحالة يقل فيهما الاحتكاك بدرجة تقربهما من الحركات ، ومن ثم كان الاصطلاح « أنصاف الحركات » ، وهو ما عبر عنه ابن جنى بأنهما ملحقان بالأصوات الصحاح (أى الصامتة) أو مضارعان لها .

ونستطيع الآن أن نرتب الأصوات الصامتة بحسب قوة الوضوح السمعى كما يلى :

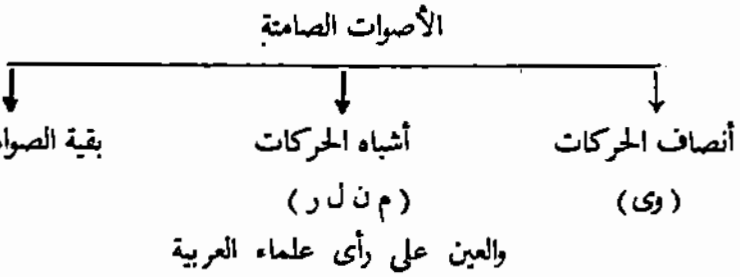

الأصوات الصامتة بحسب نطق المتخصصين وقراء القرآن الكريم من أبناء جمهورية مصر العربية الآن

المخارج	الصفات												
	انفجارية (شديدة)				احتكاكية (رخوة)				مركبة	خلاف ذلك			
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور	مجهور كلي			
	مفخم	غير مفخم	مفخم	غير مفخم	مفخم	غير مفخم	مفخم	غير مفخم		جانبي	تكراري	أنفي	نصف حركة
شفوية		ب										م	و
أسنانية شفوية								ف					
مما بين الأسنان					ظ	ذ		ث					
أسنانية لثوية	ض	د	ط	ت						ل		ن	
لثوية						ز	ص	س			ر		
لثوية حنكية								ش	ج [dj]				
وسط الحنك		—											ى
أقصى الحنك				ك		غ		خ					(و)
لهوية				ق									
حلقية						ع		ح					
حنجرية	الهمزة							ه					

ملاحظات :

١ – هذا الترتيب متأثر بنطق الشخصي

٢ – يمكن عد الواو شفوية أو من أقصى الحنك .

٣ – الهمزة لا بالمجهورة ولا بالمهموسة .

٤ – غير مفخم = مرقق أو بين الترقيق والتفخيم .